الحمـد للـه رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على أشـرف الأنبيـاء المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.. أمـا بعد:

يتجـه المسـلمون إلى المسـجد لـيروا المثـل العليـا في الأخلاق والقيم؛ وليجـدوا من يقـدِّرهم، ومن يـراعي مشـاعرهم؛ لأنهم يعلمـون أن اللـه - عـز وجـل - قـد ربى أهـل المسـاجد على أحسـن الأخلاق وأفضلها، رباهم على الكلمة الطيبـة لكي لا يجـرح بعضـهم بعضاً، فأمرهم بأحسن القول: {**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّـيْطَانَ كَـانَ لِلإِنْسَـانِ عَـدُوًّا مُّبِينًا**}[1]**، وحـذَّرهم من السـخرية والاسـتهزاء بـالآخرين، وظلمهم والتعـدي عليهم يقول - تعالى -:** {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا يَسْـخَرْ قَـومٌ مِّن قَـوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَـى أَن يَكُنَّ خَيْـرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُـوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**}[2]**.**

والإسلام يهـذب النفـوس، ويعلمهـا كيـف تعـايش المجتمـع، وكيـف تكون مراعاة الشعور، وكل ذلك موجـود في المسـجد وبخاصـة عنـد الإمام، وقد كان النبي - صلى اللـه عليـه وسـلم - القـدوة في ذلـك، فقـد كـان يـراعي النـاس، ويقـدر اهتمامـاتهم فهـذه - على سـبيل المثال - امرأة يبكي طفلها وهي في الصلاة؛ فما الذي فعله النبي -

صلى الله عليه وسلم - لأجلها؟

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها؛ فأسمع بكاء الصبي فأخفف؛ من شدة وجد أمه به))[3]، وعنه أيضاً أنه قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسمع بكاء الصبي مع أمه وهو في الصلاة، فيقرأ بالسورة الخفيفة، أو بالسورة القصيرة"[4]، فانظر إلى رحمته ورفقه بالمصلين، وانظر إليه وهو يشعر بمشاعرهم، ويحس بإحساسهم قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -: "الوجد يطلق على الحزن، وعلى الحب أيضاً، وكلاهما سائغ هنا، والحزن أظهر: أي من حزنها واشتغال قلبها به، وفيه دليل على الرفق بالمأمومين وسائر الأتباع، ومراعاة مصلحتهم، وأن لا يدخل عليهم ما يشق عليهم - وإن كان يسيراً - من غير ضرورة"[5]، ويقول صاحب فيض القدير: "قوله في بعض الطرق لمسلم: كان يسمع بكاء الطفل مع أمه، وفي معناه ما لو كان الصبي في بيت أمه، وأمه في المسجد في الصلاة، وهذا من كريم عوائده، ومحاسن أخلاقه، وشفقته على أمته {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}[6]، وقد خصه الله من صفة الرحمة بأتمها وأعمها، وذِكْرُ الأم غالبِيٌ، فإنه كان أرحم الناس بالصبيان، فمثلها من قام مقامها كحاضنته أو أبيه مثلاً، والقصد به بيان الرفق بالمقتدين، وفيه إيذان بفرط رحمة المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، فإنه قوي عليه باعث الرحمة لأمه وغلبه"[7]، وقال أيضاً: "وفيه أن الإمام إذا أحس بداخل وهو في

ركوعه أو تشهده الأخير؛ له انتظار لحوقه راكعاً؛ ليـدرك الركعـة، أو قاعداً ليدرك الجماعة؛ لأنه إذا جاز له أن يقصر صـلاته لحاجـة غـيره في أمر دنيوي؛ فللعبادة أولى، وفيه جواز صلاة النساء مـع الرجـال في المسجد، وإدخال الصبيان وإن كان الأولى تنزيهه عنه، والرفـق بالمـأموم والأتبـاع، وإيثـار تخفيـف الصـلاة لأمـر حـدث، وإن كـان الأفضل في تلك الصلاة التطويل كالصبح"[8]، وقد نهى النـبي - صـلى اللـه عليـه وسـلم - عن التطويـل الـذي لا يسـتطيعه المـأمومون، فيراعي الإمام ظروفهم الصحية، وأشغالهم الدنيوية فعن جـابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - قال: "أقبل رجل بناضـحين وقـد جنح الليل، فوافـق معـاذاً يصـلي، فـترك ناضـحه وأقبـل إلى معـاذٍ، فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل، وبلغه أن معاذاً نــال منه، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فشـكا إليـه معـاذاً، فقـال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((يا معاذ أفتـان أنت، أو أفـاتن - ثلاث مراراً -، فلولا صليت بسبح اسم ربك، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة))[9]، وعن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - قال: "جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح؛ من أجـل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - غضــب في موعظةٍ قط أشد مما غضب يومئـذٍ، فقـال: ((يـا أيهـا النـاس: إن منكم منفـرين، فـأيكم أمَّ النـاس فليـوجز، فـإن من ورائـه الكبـير، والضـعيف، وذا الحاجة))[10]، فلا بـد أن يكـون الإمـام فقيهـاً بـأحوال

المأمومين، فقد يبغِّض لهم صلاة الجماعة فيحصل بذلك شر عظيم من ترك الجماعات، وهجر المساجد يقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "أيها الناس لا تبغِّضوا الله إلى عباده، فقال قائل منهم: وكيف ذلك؟ قال: يكون الرجل إماماً للناس يصلي بهم فلا يزال يطول عليهم حتى يبغض إليهم ما هم فيه، أو يجلس قاصاً فلا يزال يطول عليهم حتى يبغض إليهم ما هم فيه"[11]، وقال ابن حجر - رضي الله عنه -: "ومعنى الفتنة هاهنا: أن التطويل يكون سبباً لخروجهم من الصلاة، وللتكره للصلاة في الجماعة"[12].

وما ذكرت ما هي إلا أمثلة على الفقه الاجتماعي الذي كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه كل إمام مسجد، فينظر فيما ينفر الناس عن المسجد فيتقيه، وينظر في أحوال المأمومين فيتأقلم مع ظروفهم، محبباً لهم بيوت الله - تعالى -.

ومن الحس الاجتماعي المطلوب السؤال عن الغائب من المصلين، ومؤانسة المكلوم، ومساعدة المحتاج، فالأمة تنتظر منكم كل خير، فكونوا خيراً مما يظنون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

1 (53) **سورة الإسراء.**
2 (11) **سورة الحجرات.**

3 (723) **مسلم، (669) البخاري.**

4 (722) مسلم.

5 (4/187) النووي.
6 (43) سورة الأحزاب.
7 (3/17) فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي.
8 نفس المصدر السابق.
9 (664) البخاري.
10 (713) البخاري (661)، ومسلم.
11 (19/12) التمهيد.
12 (2/195) فتح الباري.